

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [آل عمران: 63]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

تَهْدِيدٌ مِنْ تَوَلَّى عَنْ دِينِ اللَّهِ ﷻ:

الآية عطفٌ على آية المِباحلة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: 61]، وهذا تسجيلٌ عليهم إذ نكصوا عن المِباحلة، وقد عُلِمَ بذلك أنهم قَصَدُوا المِكابرة ولم يَتَطَلَّبُوا الحقَّ، لأنَّهم يعلمون أنَّ مَنْ باهَلَ نبيًّا هَلَكَ؛ رُوي أنَّهم لما أبَوْا المِباحلة قال لهم النَّبِيُّ ﷺ: «فَإِنْ أَتَيْتُمْ فَأَسْلِمُوا» فَأَبَوْا، فقال: «فَإِنْ أَتَيْتُمْ فَأَعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ» فَأَبَوْا، فقال لهم: «فَإِنِّي أَنْبِئُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ»⁽¹⁾، وهذه الآية وعيدٌ للذين أبَوْا أن يستمعوا إلى صوت الحقِّ، وأن يستجيبوا لما يدعوهم الرِّسول إليه من الهدى واليقين.. ووصفُهم بالمُفسدين حكمٌ بالإدانة عليهم، ومن كانت تلك صفته، فالنَّارُ أولى به، وبئس المصير⁽²⁾.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿تَوَلَّوْا﴾: التَّوَلَّى: قُرِبَ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ وَلَزُمَهُ تَبَعًا لَهُ، إِقْبَالًا أَوْ إِدْبَارًا؛ وأكثرُهُ في الإقبال، ولا يدلُّ على الإعراض والإدبار والبُعد إلا إذا عُدِّي بِهِ (عن)، أو دَلَّ السِّيَاقُ على ذلك، يُقال: تَوَلَّى عَنْهُ، أي: أَعْرَضَ، وَوَلَّى هَارِبًا، أي: أَدْبَرَ⁽³⁾، ومعنى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ في الآية: فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنِ التَّوْحِيدِ وَقَبُولِ الْحَقِّ الَّذِي قَصَّ عَلَيْكَ بَعْدَ مَا عَايَنُوا تِلْكَ الْحُجَجَ الْمُنِيرَةَ وَالْبَرَاهِينَ السَّاطِعَةَ؛ هذا على كَوْنِ الْفِعْلِ مَاضِيًّا، أَوْ وَإِنْ تَعَرَّضُوا، على كَوْنِهِ مُضَارِعًا حُذِفَتْ مِنْهُ إِحْدَى التَّاءَيْنِ، وَأَصْلُهُ: تَتَوَلَّوْا⁽⁴⁾.

(2) ﴿بِالْمُفْسِدِينَ﴾: من الفساد، وهو خروج الشَّيْءِ عَنِ الْإِعْتِدَالِ، قَلِيلًا كَانَ الْخُرُوجُ أَوْ كَثِيرًا، وَيَسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي النَّفْسِ وَالْبَدَنِ وَالْأَشْيَاءِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22]، وقوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾

(1) ابن عطية، الحُرَّرُ الوجيز: 1/447، وابن عاشور، التَّحْرِيرُ والتَّنْوِيرُ: 3/268.

(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 2/485.

(3) الجوهري، الصَّاح، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، وجبل، للعجم الاشتقاق: مَادَّةُ (وَلَى).

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/47، والآلوسي، رُوحُ اللِّعَانِ: 2/183.

الرّوم: 41]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: 205⁽¹⁾]، والفساد: نقيض الصّلاح، وهو: ذهابُ نفعِ الشيءِ المقصودِ منه بتلفه وهلاكه، ومعنى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾، أي: فإنَّ الله عالمٌ بالمُفسدين الذين يعبدون غيرَ الله، ويدعون النَّاسَ إلى عبادة غيرِ الله فيجازيهم على ذلك⁽²⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

كُلُّ مَنْ تَوَلَّى عَنْ دِينِ اللَّهِ فَهُوَ مُفْسِدٌ، وَلَوْ زَعَمَ الصَّالِحُ:

فإنَّ أَعْرَضُوا عَمَّا جِئَتْ بِهِ مِنْ وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَلَمْ يَتَّبِعُوا، فَاعْلَمْ أَنَّ تَوَلَّيَهُمْ وَإِعْرَاضَهُمْ لَيْسَ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْعِنَادِ، وَذَلِكَ مِنْ فُسَادِهِمْ، فَاقْطَعْ كَلَامَكَ عَنْهُمْ، وَفَوِّضْ أَمْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِفُسَادِ الْمُفْسِدِينَ، مُطَّلِعٌ عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِمْ، قَادِرٌ عَلَى مُجَازَاتِهِمْ، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ⁽³⁾، "فَإِنْ تَوَلَّوْا أَيَّ أَعْرَضُوا عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ الَّذِي قَصَّ عَلَيْكَ، بَعْدَ مَا عَايَنُوا تِلْكَ الْحُجَجَ النَّبِيَّةَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ، أَيَّ بِهِمْ، فَيُجَازِيهِمْ عَلَى إِفْسَادِهِمْ، وَالتَّعْبِيرُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ، إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ بِتَوَلِّيهِمْ، مُفْسِدُونَ اعْتِقَادَهُمْ، وَاعْتِقَادَ غَيْرِهِمْ فِي اللَّهِ تَعَالَى"⁽⁴⁾.

❁ الْإِبْطَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

نُكْتَةً وَضَعَ الْمُظْهَرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾:

التَّوَلَّى عَنِ الْحَقِّ
إِلَى الْبَاطِلِ
إِفْسَادٌ وَإِضْلَالٌ

في قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ إظهارٌ في مقام الإضمار؛ فإنَّ مقتضى الظَّاهر: فإنَّ الله عَلِيمٌ بِهِمْ، لقوله قبل: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، فأظهرَ في موضع الإضمار؛ لتسجيلِ صِفَةِ الفسادِ عليهم، فيكونُ في التَّوَلَّى مُشَاكَلَةُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى⁽⁵⁾.

(1) الرّين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم: (فسد).

(2) الخليل، العين، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (فسد).

(3) جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 58.

(4) القاسمي، محاسن التأويل: 2/331.

(5) السمين، الدّر للصون: 3/230، و7/277، والدّريهم، سورة آل عمران - دراسة بلاغية: ص 129.

والفعل ﴿تَوَلَّوْا﴾ فعلٌ ماضٍ، ويجوزُ أن يكونَ مضارعًا دالًّا مُستقبلاً، وأصلُه: تتولَّوا⁽¹⁾، فحُذِفَت إحدى التَّاءين تخفيفًا، وهذا الحذفُ يُسمَّى: اقتطاعًا، وهو ضربٌ من ضروبِ إيجازِ الحذفِ.

نُكْنَةُ وَضْعِ الْمُظْهِرِ مَوْضِعِ الْمُضْمَرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾:

أُكِّدَ الخبرُ في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ بـ (إنَّ)، واسميَّةِ الجملةِ؛ فإنَّها أَكَّدُ من الجملةِ الفعليةِ لما تدلُّ عليه من الثَّباتِ واللزومِ.

التَّوَلَّى عَنْ دِينِ
اللَّهِ تَعَالَى فَسَادٌ
وإِفسَادٌ

وفيه إسنادٌ علم الله تعالى بالمفسدين إلى الاسمِ الأَحْسَنِ ﴿اللَّهُ﴾ دُونَ ضميره بِقَصْدِ تَرْبِيَةِ الْمَهَابَةِ؛ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ التَّوَلَّى عَنْ الْحُجِّ، وَالْإِعْرَاضَ عَنِ التَّوْحِيدِ إِفسَادٌ لِلدِّينِ وَالْإِعْتِقَادِ الْمُؤَدِّي إِلَى فَسَادِ النَّفْسِ، بَلْ إِلَى فَسَادِ الْعَالَمِ⁽²⁾.

دَلَالَةُ حَذْفِ جَوَابِ الشَّرْطِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾:

جُمْلَةُ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ دالَّةٌ عَلَى جَوَابِ شَرْطٍ مَحذُوفٍ، وَالْمَعْنَى: فَإِنَّ اللَّهَ سَيَعِاقِبُهُمْ؛ فَالْكَلَامُ مَسْقُوقٌ مَسَاقَ الْوَعِيدِ، وَالتَّهْدِيدِ، أَوْ الْمَعْنَى: فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِهِؤَلاءِ الْمُجَادِلِينَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَبِأَنَّهُمْ لَا يُقْدِمُونَ عَلَى مُبَاهَلَتِكَ؛ لِمَعْرِفَتِهِمْ بِنُبُوتِكَ وَثُبُوتِ رِسَالَتِكَ؛ وَالْكَلَامُ مَسْقُوقٌ لِتَسْلِيَتِهِ⁽³⁾.

الْمُعْرِضُونَ عَنْ
دِينِ اللَّهِ تَعَالَى
مُسْتَحَقُّونَ
التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ

دَلَالَةُ الدَّامِ فِي ﴿بِالْمُفْسِدِينَ﴾ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾:

مِنْ مَلَامَحِ تَرْكِيبِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ انْطِبَاقُ الْوَصْفِ عَلَى كُلِّ مَنْ اتَّصَفَ بِهِ؛ فَإِنَّ التَّصْرِيحَ بِاسْمِ (المفسدين) أَفَادَ الْعُمُومَ؛ فَاللَّامُ فِيهِ لَا اسْتِغْرَاقَ الْأَفْرَادِ، وَيَدْخُلُ فِيهِمْ مَنْ جَاءَ السِّيَاقُ فِيهِمْ دَخُولًا أَوَّلِيًّا⁽⁴⁾.

شُمُولُ الْخَاصِّ
بِالْفُظِّ الْعَامِّ
يُحَقِّقُ الْمَقْصُودَ
وَمَا تَعَلَّقَ بِهِ
عَلَى الدَّوَامِ

(1) النَّحَّاسُ، إعراب القرآن: 1/163، وَالشَّامِيُّ، الدَّرُ الْمَصُون: 3/230.

(2) الْبِيضَاوِيُّ، أنوار التنزيل: 2/21.

(3) أَبُو السَّعُودِ، إرشادُ العقل السَّليم: 2/47، وَالْأَلُوسِيُّ، رُوحُ الْبَاعِي: 2/183.

(4) ابْنُ عُثَيْمِينَ، تفسير القرآن الكريم - سورة آل عمران: 1/367.

❁ الفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

العُتُوُّ وَالْفَسَادُ:

أَنَّ الْعُتُوَّ كَثْرَةُ الْفَسَادِ، وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِكَ: ضَبَعْتُ عَتَاءً، إِذَا كَثُرَ الشَّعْرُ عَلَى وَجْهِهَا، وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ، وَعَاتٌ يَعِثُ - لُغَةٌ -، وَعَتَا يَعْتُو: أَفْصَحُ اللَّغَتَيْنِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة: 60)⁽¹⁾، والفساد بأنواعه هلكة للأمة، وسبيلٌ إلى دمار مقدراتها، وانتكاس شبابها اليانع، في حمأة الانحراف والضلال، وهو ما يفضي لا محالة إلى دمار الحضارة، وتمزق الفكر والمجتمع، ولذلك شَنَّعَ عليه القرآن، واعتبره من أسباب الدمار والتلاشي، وإنَّما عَبَّرَ الْقُرْآنُ بِالْمُفْسِدِينَ بَدَلِ الْعَاتِينَ عَلَى هَذَا الْفَرْقِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى شُمُولِ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى كُلِّ الْمُفْسِدِينَ؛ قَلَّ فَسَادُهُمْ أَوْ كَثُرَ.

(1) العسْكَرِيُّ، الْفُرُوقُ اللَّغَوِيَّةُ، ص: 213.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م.ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم،

قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغاني].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 5، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-57-6

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 5: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغاني، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-57-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»